

تاريخ القبول: 2024/10/25

تاريخ الإرسال: 2024/03/08

تاريخ النشر: 2024/10/30

القيم الإنسانية والفنية في الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة نماذج-

Human and Artistic values in Algerian Proverbs - Case Studies -

ط.د. صيد وداد¹، د.أ. علي بولنوار²¹ المركز الجامعي بركة، طريق امدوكال، بركة، 05001، الجزائر، widad.sid@cu-

barika.dz

مخبر الشعرية الجزائرية- جامعة المسيلة-، قسم اللغة والأدب العربي، معهد الآداب واللغات

² المدرسة العليا للأساتذة-بوسعادة-(الجزائر)، Boulanouarali15@yahoo.fr

الملخص:

تجسد الأمثال الشعبية فلسفة الجماعة، وتعبر عن توجهها الحضاري والأخلاقي، إذ تدخل نصوص الأمثال في بنية العلاقات الاجتماعية وأنماط الأنظمة الثقافية، وتعبر بصدق عن تفاصيل الوشائج التي تربط بين الأفراد والجماعات، فهي سجل ثريّ يحكي عن ذواتهم وأحلامهم وكفاحهم وقيمهم، مما يدفعنا للجزم بأن هذا النسيج النصي (المثل) يشكل رؤية سليمة عن كُتب للنمط الاجتماعي والفلسفي والطابع الثقافي العام للمجتمع.

هو ما سعينا للكشف عنه في بحثنا هذا من خلال استتطاق نماذج عن الأمثال الشعبية الجزائرية، واستجلاء تمثّلات القيم الإنسانية والأخلاقية المبنوثة في مضانها، ومن ثمة الوقوف على مدى تحقق المظاهر الفنية والجمالية في بنية الأمثال المدروسة تماشيا مع تجسد هذه القيم والقضايا الحضارية في متونها.

الكلمات المفتاحية: القيم الإنسانية، القيمة الفنية، الأمثال الشعبية.

Abstract:

Popular proverbs embody the philosophy of the group, and express its cultural and moral orientation. The texts of proverbs enter into the structure of social relations and patterns of cultural systems, and honestly express the details of the ties that link individuals and groups. They are a rich record that tells about themselves, their dreams, their struggles, and their values, which leads us to assert that this The textual texture (proverb) constitutes a sound, close-up view of the social and philosophical pattern and general cultural character of society. This is what we sought to uncover in our research by interrogating examples of Algerian popular proverbs, clarifying the representations of the human and moral values embedded within them, and then determining the extent to which artistic and aesthetic manifestations are achieved in the structure of the studied proverbs in line with the embodiment of these values and cultural issues in their content.

Keywords: human values, artistic value, popular proverbs.

المؤلف المرسل: ط.د/ صيد و داد، الإيميل: WIDAD.SID@CU-BARIKA.DZ

1. مقدمة:

الأمثال الشعبية من أبرز أركان الأدب الشعبي؛ حيث تلعب دورا أساسيا في الحوار بين الناس، لا تحتاج لوقت معين أو قيود في تداولها، أينما تشابهت الأحداث بين أمرين أو حدثين استحضر الفرد المثل الشعبي إما على سبيل التشبيه أو المقارنة، أو إسقاطه على الأحداث بغرض النصيح والإرشاد أو الوعيد وما إلى ذلك من الأغراض المراد الوصول له.

وتهدف أغلب الأمثال الشعبية لتوجيه سلوك الفرد وفق المعايير الأخلاقية المتعارف عليها في المجتمع، وتنظيم سلوكه وطرق تعامل الأفراد فيما بينهم؛ لأن الحياة لا تستقيم بدون ضوابط وقيود ووظيفتها مراقبة ما يحصل داخل المجتمعات.

ولا تزال الأمثال الشعبية الجزائرية تُحافظ على سيورتها داخل المجتمع من خلال تناول الفرد الجزائري لها في أغلب معاملاته ونشاطاته اليومية، هناك من يوظفها في حديثه عن قصد، وهناك من تسير على لسانه بحكم تكرارها، وتنتقل بينهم كأنها قانون لا بد من التقيد به والسير وفق قواعده.

أما الناحية اللغوية فإن المثل الشعبي يتمتع بخصائص فنية ينفرد بها عن غيره من أشكال التعبير الشعبي، يتوفر على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير، والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، و الإيقاع الذي إذا ما وُجد في المثل سعى إلى إخراجها في حُلة فنية، لما فيه من تغيير في نبرة الصوت، نتيجة ما يتسم به من خصائص وأساليب بلاغية وإيقاعية وتركيبية، فتمثل بُنيته انزياحا عن اللغة العادية.

2. ماهية المثل:

يشهد المجتمع الجزائري في كل زمان ومكان تداولاً كبيراً للمثل بصفتيه الفصيح والعامي، هذا ما جعل من المثل محطة للدراسة والبحث في مفهومه والكشف عن هويته وتوضيح معناه وأبعاده في المجتمع.

1.2: تعريف المثل:

أ- المثل لغة:

ذُكرت لفظة المثل في القرآن الكريم في العديد من المواقع، وكان يتخذ في كل مرة معنا مختلفاً عن غيره، منه ما جاء على شكل عبرة في قوله تعالى في سورة

الزخرف: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)¹. الآية 56. ومنه ما كان أجل الإخبار والتشبيه في قوله عز جل: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ)². سورة محمد الآية 15. تتعدد معاني لفظ "المثل" وتتنوع في المعاجم العربية، إذ يُعرفه ابن منظور فيقول: "مَثَلٌ: مَثَلُ الشَّيْءِ مَثَلًا زَعَزَعَهُ أَوْ حَرَّكَه، مِثْلٌ: مِثْلٌ: كَلِمَةٌ تَسْوِيَةٌ. يُقَالُ: هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ كَمَا يُقَالُ شَبِهَ وَشَبَّهَهُ بِمَعْنَى"³.

كما يعرفها أحمد رضا بأنه: "الشَّبه ج أمثال. والحديث: الحجة ما يضرب من الأمثال: العبرة: الدالة على شيء: ما جعل مقدار العبرة يُحذَى عليه، مثل الشيء: صفته"⁴. وعليه، فلفظة "مثل" جسدت صفة المشابهة تارةً والعبرة تارةً أخرى، وفي بعض الأحيان حملت معنى النظير والمماثلة وما شابهها من معانٍ.

ب- اصطلاحاً:

من الصعب الوقوف عند تعريف واحد لمصطلح المثل، إذ تتعدد معانيه وتختلف حسب رأي كل ناقد أو باحث، وهو الأمر الذي شغل بالهم منذ القدم وسعوا في سبيل تحديد مفهومه.

يذهب ابن رشيق القيرواني في تعريفه للمثل إلى ذكر أهم ميزة يحظى بها وهي أنه لا يشبه الكلام العادي متسماً بالصدق والحكمة والإيجاز يقول في هذا: "المثل السائر في كلام العرب كثيراً نظماً ونثراً وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدق، وقولهم: مثل شرود وشارد أي سائر لا يسرد كالجمال الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد"⁵. هناك من يرجع أصل المثل إلى قصة ما، ف"الأمثال في الغالب أصلها قصة أي أن الموقف الأصلي الذي ضرب فيه المثل يكون قصة أدت في النهاية إلى ضرب المثل، ثم يمر الحادث وينتهي، وترى الناس احتفظوا بالمثل لسهولة حفظه وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها"⁶.

يوضح القول الذي بين أيدينا أن المثل في حد ذاته قصة مضت وتركت أثرا في نفوس الناس متمثلة في تلك العبارات القصيرة والوجيزة، وإن بليت حكايته فالعبرة منه قائمة مادام بقي في قالب فني سهل الحفظ والتداول بين الناس، إن أكثر العبارات حفظا أكثرها بلاغة وإيجازا فنيا.

يُشير إلى تعريفه عبد المجيد قطامشقائلا: "المثل قول وجيز سائر صائب في المعنى تُشبه به حالة حادثة بحادثة سابقة"⁷.

يعود بنا التعريف أعلاه، إلى ميزة التشبيه التي يتصف بها المثل؛ حيث يقوم المثل بإسقاط حوادث الماضي على ما يقع في الحاضر كأن تتشابه الحالات رغم فارق الزمن.

إن صفة التشبيه التي يسير بها المثل تؤثر على المتلقي أو السامع من خلال حُسْنها البلاغي، تقدمه بناءً مُرصعا بالمعاني والدلالات، تُكسبه مناعة يقاوم بها تعاقب الأزمنة واختلاف الأجيال، إضافة إلى تطور الحياة وتغير أساليب العيش فيها.

كل هذه التعاريف تتفق فيما بينها على أن الأمثال كلام لا يشبه الحديث العادي، سواء من الناحية الفنية أو التركيبية من خلال الإيجاز وبلاغة المعنى، وسمو الجانب البياني فيه، وهي في أصلها عنصر مهم في حياة الفرد والمجتمع.

2.2 مفهوم المثل الشعبي:

الأمثال الشعبية عبارات قصيرة الطرح تمثل حصيلة تجارب إنسانية جماعية وفردية، إنها حلقة وصل بين الأجيال وبين الماضي والحاضر، أبدع الحكيم الشعبي صياغتها لتكون أبلغ الكلام وأنفع الحديث.

اجتهد العديد من الأدباء والباحثين من أجل تحديد مفهوم المثل الشعبي، والكشف عن ملامحه، وتوضيح مدى أهميته في التعامل بين أفراد المجتمع، ناهيك عن كونه جزءا من الأدب بصفة عامة.

تعرفه نبيلة إبراهيم بقولها: "المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير، إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله فيعيش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيراً تحليلياً دقيقاً"⁸.

تشير الكاتبة في المقطع السابق، إلى أن المثل ليس عبارة عادية، إنما هو نص أدبي ينتج عنه موضوع لعمل أدبي كبير، هذا إن استطاع الأديب معايشة تلك العبارة بتفاصيلها الكاملة بداية من أصل موردها إلى غاية تحليلها موضوعياً وفنياً، وإلى غير ذلك منالناحي.

كما نجد تعريفاً آخر يقول إن: "الأمثال العامية عبارة عن حِكَم جمعت في تعابير تمتاز بالإيجاز والبلاغة، وهي تدخل في جميع مظاهر الحياة"⁹، ترتبط الأمثال بكل ما يتعلق بالإنسان من بداية خلقه إلى النهاية هو موضوعها وكل اهتماماتها تربية وأخلاقاً وديناً وما إلى ذلك من حقائق ومواضيع تخصه. وكان حسن صوغها خير معين لها في هذا الأمر.

يلتقي الباحثون في نقطة مهمة من خلال سعيهم في تحديد مفهوم الأمثال الشعبية، وهي أنها ضرب من الفكر الشعبي، تُسائر الظروف الاجتماعية لحياة الشعوب لم تأت من لا شيء إنما هي ذات ماضٍ يمكن أن يكون عبارة عن قصة أو حادثة، قد تكون مقتبسة من الأمثال الفصحى أو حتى مستنبطة من نصوص دينية وُضعت بلغة عامة الناس، وكلها نابعة من التجارب الإنسانية. وما يزيدها تميزاً ألفاظها المنسجمة المرتبطة بالبيئة والمحيط، الذي تنتمي له وتتأثر وتتوثر فيه.

3.القيماإنسانية في المثل الشعبي الجزائري:

لا تخلو ثقافة أي مجتمع من الأمثال الشعبية التي تتبع منها، والموروث الشعبي بصفة عامة مقوم أساسي في بناء الحضارات ورقيها بما فيها من "الممارسات الشعبية السلوكية والطقسية معاً، كما يضم الفولكلور، والميثولوجي العربية، ويضم أيضاً الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي، أو العطاء الجمعي لأدباء الشعب العربي في مسيرته الحضارية من قديم وإلى اليوم"¹⁰، إنه حياة الماضي تتواصل مع الحاضر وتنتقل نحو المستقبل لتتصهر فيه شخصية وهوية الفرد والمجتمع، وإذا تخطى المرء عن ماضيه وتراثه ضاعت هويته وسط انتشار الفكر والثقافات فتموت القيم داخله، فكان الموروث وسيلة للحفاظ على الهوية من الضياع.

يُداول المثل في كل الأمكنة بداية من البيت ثم الشارع على غرار المساجد خاصة عند تناوله المواعظ والنصائح، يتخذها الحكيم أو الإمام سبيلاً لإيصال المعنى بطريقة قريبة من فهم المُتلقي، وقد يلتجئ لها المدرس عند تقديم الدروس والمحاضرات، فلا يمكن أن نعتبرها موروثاً ثقافياً جامداً، بل تتعداه إلى ما هو حسي ملموس، إذ تتضمن الجانب التربوي والتعليمي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي، فهي "منظومة فكرية تحتوي على مجموعة قيم اجتماعية، تربوية، أخلاقية وسياسية"¹¹. يهتم المثل بسلوك الفرد وبردة فعله دون الظاهرة المسببة في ذلك؛ لأن الهدف منه ليس سرد الأحداث كالقصة أو الحكاية، بل يسعى إلى زرع القيم ومحاولة حل بعض المسائل الاجتماعية والظواهر الموجودة فيه؛ لأنه يتعايش مع تغيرات الحياة، ونجد أكثر من مثل في موضوع واحد.

1.3 أغراض تربوية في الأمثال الشعبية:

المثل الشعبي من أهم الوسائل التي تُستعمل في توجيه سلوك الصغير قبل الكبير، وبناء شخصية سوية تُكسبه القدرة على التفاعل والتكيف مع ظروف الحياة والتغيرات الثقافية والاجتماعية لما لها من طابع الوعظ والتعليم التلقائي وتلقين المعرفة مباشرة

من عامة الناس "يُطلعنا على حقيقة تجربة تلخص نتائجها في جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتلاقي قبولا وذيوعا يمنحها أثرا في صقل تجاربنا وتهذيب خبراتها، وتوسيع أفق معرفتنا"¹².

يتخذ الأولياء بعض الأمثلة عند تربية أولادهم إما تأكيدا أو نفيا، كما هو متعارف عليه أن وظيفة الوالدين أو المدرس تقوم على النهي والأمر وإعطاء التعليمات وتربية الأطفال من الصغر على القيم والأخلاق الحسنة.

عندما تصبح الأمثال الشعبية أحد مكونات الحديث الناشئ بينهم تؤدي بالمتلقي الصغير إلى الانتباه لما في جملة المثل من حسن الصياغة وفنية اللغة التي تجذبه نحوها لتثير فيه جانب الفضول حتى يحفظها وتبقى عالقة في ذهنه وإن لم يفهمها كما هي؛ بحيث تُصبح أحد عناصر الكلام عنده، ولنا في هذا المجال العديد من الأمثلة التي يستعملها الفرد الجزائري لصقل المعارف والتربية بشكل صحيح، ونذكر أهم ما جاء فيها من أغراض:

أ- التركيز على أهمية التعليم ودوره البارز في الحياة:

تولي الأمثال الشعبية اهتماما كبيرا لمجال العلم، وتعمل جاهدة على النصح به أو الدعوة إليه والغوص في بحر العلم والمعرفة، لتضع أمام المُتعلّم طرقا سهلة في استقباله وكيف يسلك سُبُلَه وعض النظر عن صعوبته والصبر عنه بقولنا: "اتعلّم وانرك"؛ أي وجوب التعلم مهما كان نتيجة الأمر حتى لو كان فيه شك بأنه لا ينفك هذا الجانب اليوم إلا أنه سيكون ضمن زادك المعرفي.

هو بالضبط ما ذهب إليه المثل الموالى "قَطْرَةٌ مع قَطْرَةٍ تَوَلِي سَوَاقِي"، الذي يُحيلنا إلى أن التراكم المعرفي يأتي انطلاقا من الجزئيات كما هو حال التجارب العلمية، ومن جهة أخرى يُقال: "قَسَمَ البحر إِيُولِي سَوَاقِي" بمعنى أنه يمكن تفكيك المعارف

واكتسابها عن طريق تجزئتها إن صَعُب الأمر، أما إذا قلنا "يُلي ما هَامَ ما عَامَ، مَا يَعْرِفُ شَحَالٌ لَيْلَةً فِي لَعَامٍ" فنحن ندعو أنفسنا للاجتهاد في سبيل التعلم والمعرفة. كما أن الأمثال الشعبية تُعارض التعصب والتطرف خاصة في عبارة "أَرْخَفَ رُوحَكَ تَتَعَلَّمْ"، والمقصود منها أن الذي يُريد نيل العلم كان من طباعه اللين والمرونة في استقبال الأمور العلمية.

ب- الصدق في الأفعال والأعمال:

الصدق صفة نبيلة وخلق عظيم يجب أن يتحلى به المسلم، ولا يختلف اثنان في أمر الصدق بأنه أساس التعامل إنه يصنع الثقة بين الناس. يتبادر إلى أذهاننا تلك العبارات الوجيزة التي تركز على أهمية الصدق وفوائده، كقول الوالدين لأبنائهم: "ابْنِيهَا عَلَى الصَّحِّ تُصُحِّ" أو عبارة: "الصَّخَامُ لِيحْ، وَمَوْلَاهُ عُمُرُو مَا يُطِيحْ"؛ أي لاتبسّر الأمور بشكل صحيح إلا إذا كانت من البداية قائمة على أساس صادق في أي مجال، ولفظة "الصح" تُقال عن كل شيء لا يُخالف الدِّين والأعراف والوقوف عند الحقيقة وعدم تزييفها مهما كان الوضع كقولنا أيضا: "اجْمَلُ الْحَا لِقَافُ وَانْقَدَمَ لَا تَخَافُ"، يبدو الجانب التربوي واضحا بين أفراد المجتمع.

2.3 قيم دينية أخلاقية:

إنَّ الرُّكنَ الأساسي والثابت في ثقافة المجتمعات، ومهما حصل من تقدم فكري أو علمي تبقى القيم تتمتع بسلطانها في ضبط وتقويم الحياة الاجتماعية للإنسان، يستطيع بها المجتمع الصمود أمام الصعوبات التي تواجهه سواء فكريا أو عقائديا، فهي بمثابة الحصن المنيع الذي يحافظ على كيان الفرد والمجتمع ضد أي تغيير فكري أو غزو ثقافي أجنبي خاصة ما نلاحظه في العصر الحالي من تطور في التواصل بين الناس عن طريق المواقع الإلكترونية المتعددة بشكل كبير؛ حيث

أصبح العلم قرية صغيرة واضحة المعالم، والابتعاد عن القيم وعدم السير بها يؤدي حتما إلى سقوط المقومات الأساسية الخاصة بالأُمم مهدمة العلاقات.

جاء الإسلام لتثبيت القيم الفاضلة وترسيخها في المجتمع، مركزا على الغايات الإنسانية، باحثا عن وسائل وطرق إصلاح الفرد خُلُقيا، ودفعه نحو التخلي عن أي سلوك سيء ومُنافٍ للدين.

يتميز المجتمع الجزائري بقيموصفات لا توجد في غيره من المجتمعات غير المسلمة؛ لأن مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

اتخذت الأمثال الشعبية الجزائرية من الدين مادة حية لها وصرحا لبث القيم ونشرها بين الناس، بداية منالدعوة للتمسك به "فمظاهر العقيدة الاسلامية بادية من خلال الأمثال الشعبية التي يتداولها المجتمع الشعبي"¹³.

إذ يقول المثل "إِذَا اتَّخَلَّفْتُ الْأَدْيَانُتَهَلَّى فِي دِينِكَ"؛بمعنى أن يبقى المسلم على دينه مبتعدا عما يحصل من دعايات وبدع، تظهر من زمن إلى آخر؛ لأن ديننا غير قابل للتغيير أو التحريف، وكل ما هو مُستحدث.

في الموضوع نفسه نلتقي مع مثل آخر يدعو إلى البحث في الدين وفهمه، كثيرا ما نسمع عبارة "سأل على دينك حتى أقولُ عليك مَهْبُولٌ"،فهنا يقترن الإيمان بالسعيوالاجتهادفي سبيل العلم به.

تتماشى الأمثال مع الدين وقيمه جنبا إلى جنب في أغلب حالاتها، فمن بين القيم التي دعت لها نذكر ما يلي:

أ-حسن التوكل على الله تعالى:

يتداول أفراد المجتمع الجزائري أمثالا شعبية تحمل معاني حسن التوكل على الله عز وجل بكثرة؛حيث لا يخلو الحديث منها في كل مجالات الحياة (الدراسة، العمل، الزواج، الرزق، المرض... الخ)،فكل شيء مرتبط به سبحانه بعد اتخاذ المرء

بالأسباب. وأول ما يتعلمه الفرد المسلم هو توحيد الله عز وجل والتوكل عليه والسعي في الحياة من أجل رزقه متوكلاً على الله تعالى بدليل: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا).¹⁴ كذلك في الأمثال دعوة للتعلق بالخالق وحده دون سواه كقولنا:

- "يَمُوتُ النَّفَاقُ وَيَبْقَى الزَّرَاقُ" يوجهنا المثل نحو الإيمان بوجود الله تعالى ويطمئن حال الناس بأن الخالق حي لا يموت، يهب من يشاء ليس لرزقه زوال وإن مات الإنسان "النفاق" المسؤول كولي الأمر (الوالدين، الأخ الأكبر، المدير إلى غير ذلك)، يبقى المولى عز وجل هو الرزاق الوحيد الذي يعيل وعنده لا تضيق الحقوق.

في السياق نفسه نجد أمثال مشابهة، هي على التوالي:

- يَلِي دَرَلْهَا أَفْوَامْدَرْ لَهَا أَفْسَامْ".

- "بَابُ رَبِّي مَا عَلَيْهِ بَوَابُ".

- و"يَلِيَا خَلْقُ مَا يُضَيِّعُ".

تؤكد الأمثال السابقة، أن الرزق لا يتعلق بأشخاص في حد ذاتهم، إنما هم مسيروون والمطلوب منهم العمل والسعي من أجل نيله والإيمان بعوض الله من خلال قولهم: "رَبِّي خَلَفَ مَا هُوَ شُ تَلَفُ"، يتضمن المثل معنى عميق متمثل في الدعوة لعدم اليأس والقنوط من رحمة المولى عز وجل، وأنه صاحب العوض يرزق مخلوقاته من حيث لا يحتسبون، وعليه لا نندم على خسارة شيء معين أو الخوف من القادم ولا حتى الضياع والتشتت في التفكير، وأن نُهَوِّنَ على أنفسنا مقتدين بمن سبقونا من خلال تجاربهم وأحوالهم، والإيمان التام بأن "الخير فيما اختاره الله" بدليل قوله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)¹⁵، والسعي في الدنيا يكون في حدود المعقول في كل أمر نبتغي الوصول إليه.

نستحضر مثلاً شعبياً جزائرياً أكثر رواجاً بين الأمهات الجزائريات يقترن عادةً مفهوم الرزق فيهبالسعي والاجتهاد، وهذا عندما تحاول الأمهات دفع أولادهم نحو العمل وتحسيسهم بأهمية النشاط بقولهم: "أُخْدَمَ يَا عَبْدِي وَأَنَا أَنْعَيْتُكَ، وَأَرْقُدُ يَا عَبْدِي وَأَنَا أَنْهَيْتُكَ"، بحيث تُصبح الأمهات داعيات للعمل والابتعاد عن الكسل، وتُعلمهم أن السعي والتوكل على الله من أهم أسباب نزول الرزق على العبد.

لا حدود للأمثال الشعبية في العقيدة وعلى مستوى الحياة، فالمسلم يقع تحت معالم دينية راسخة أهمها: الإيمان بالقضاء والقدر والتوكل على الخالق والسعي في الحياة طالباً الدنيا والآخرة.

ب- طاعة الوالدين:

اعتنت الأمثال الشعبية بعلاقة الوالدين بأبنائهم وكيف يتأثر الأبناء بالوالدين، تترجم جملة من المعاني والقيم التي يجب على المرء التحلي بها لا تبتعد في فحواها عن القيم الدينية كالأمر بطاعة الوالدين وتقديم الخدمات لهما والحث على الإحسان لهما برا بهما، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)¹⁶.

من ملامح الدعوة لطاعة الوالدين قول عامة الناس "يَا سَعْدُكَ يَا طَايِعَ الْوَالِدَيْنِ"، ففي المثل نداء غرضه تأكيد جزاء من يمتثل ويطيعهما، كما يحمل بشائر الخير، فلفظة "سعدك" ترمز إلى حُسن الحظ في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، ذلك لاقتران طاعة الوالدين بطاعة الله عز وجل ورضاه من رضاهم، وخير الأبناء مُتعلق بهما بدليل قولنا: "طَايِعَ وَالِدَيْهِ كُلُّ الْخَيْرِ آيُجِبُهُ" إنهما نعمة كبيرة وحياتهما تُعد ذخراً إن أحسنوا مُعاملتهما.

حذر المثل الشعبي من عصيان الوالدين بالعديد من العبارات من أهمها:

- "اللَّهُ يَحْفَظُنَا مِنَ الدِّينِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدَيْنِ".

- "دَعْوَةُ الْوَالِدَيْنِ تُخْرِجُ فِي الدَّرِيَّةِ".

- و"وَيْنَ بَيْهَا يَا عَاصِي الْوَالِدَيْنِ".

- "يَلِي أَعَصَى وَالِدَيْهِ وَمَا، مَا يُشَوِّفُ خَيْرٌ فِي أَحْيَاؤُ".

في أغلب الأحيان تكون الأمثال الشعبية أبلغ من الحديث العادي؛ لأن عباراتها أدق وأعمق من حيث المعنى بالرغم من بساطة الألفاظ إلا أنها تستتطق جوانب عدة تحدث في إطار الأسرة.

لا تُفارق الأمثلة ألسنة كبار السن عند الحديث في أمر الطاعة والعصيان مُوجهين النصيح للأبناء بأقوال صارمة وهادفة كأن يقولوا: "تَمْشِي نَاسُواثَجِي نَاسٌ وَتَبْقَى رِضَايَةُ الْوَالِدَيْنِ تَاجٌ فَوْقَ الرَّاسِ"، فالمثل يكشف عن حق الوالدين على الأبناء، فرغم وجود العديد من الناس في حياة الفرد إلا أنه مُلزَم باحتوائهما وعدم نكران فضلها عليه، ويتضح المعنى جليا في عبارة "يَلِي يَنْبَغُ رَايُ وَالِدِي، إِذَا مَا رَنْحَ يَسْلُكُ عَلَى خَيْرٍ".

4-الظواهر الفنية في المثل الشعبي الجزائري:

الأمثال الشعبية نصوص أدبية أنتجها المجتمع عن طريق الاتفاق والتراكم المعرفي، إذ تسيّر ضمن الإطار الفني والبلاغي من خلال قوالبها الوجيزة المحملة بالدلالات والمعاني المختلفة، ثم إنها تتعدى الوظيفة التواصلية نحو التصوير الفني والبلاغي.

فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة تتماسك وتصمد أمام الزمن، توفرها على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير، والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، فالإيقاع إذا ما وجد في المثل عمل على إظهاره أكثر من الكلام العادي، والمثل الشعبي ذلك "القول

الجاري على ألسنة الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة"¹⁷.

لعل بُنية المثل جعلت منه ظاهرة فنية تتنوع أساليبها وتتعدد، حيث تُساعدنا في حفظ دلالاتها وأبعادها وتصوير ملامح أدبية وجيزة.

1.4 الأسلوب:

توظف الأمثال بشكل كبير أساليب اللغة في تركيبها وبنيتها الشكلية، تُعبر عن ارتباطها بالجانب الثقافي الأدبي للمجتمع، ويبدو هذا جليا فيها، خاصة الأسلوب الإنشائي الذي لا يكاد يخلو منه مثل ما وكأنه أداة ضرورية فيه حتى يكتمل معناه، فكان من الواجب الوقوف عندها دراسة وتحليلاً:

أ- الأسلوب الخبري:

يتميز باحتمالية الصدق والكذب في مدلول الجملة إنه: "القول المقتضي بتصريحه بنسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات، ومن حدّه بأنّه المحتمل للصدق والكذب"¹⁸.

تنطبق هذه الميزة على الأمثال الشعبية بدافع أنها نابعة من وقائع حدثت بالفعل لها فعل التأثير على الفرد، قد تكون معلومة أو مجهولة أو تعرضت للنسيان، ومن ببين الأمثلة التي تصب في مجال الخبر نذكر:

- الطَيْرُ الحُرُّ إِذَا تَحَكَّمَ، مَا يَنْخَبِطُشُ: يُقال المثل على سبيل المدح والتشجيع، فيه دعوة صريحة وموجهة نحو الاعتداد بالنفس وعدم التنازل مهما كان الموقف صعباً، بحيث تتكون عبارة المثل من جملتين تضمنتا فخراً واضحاً، غرضه توضيح المعنى والاشارة لصفة الأصيل والحر حينما مثله بالطير الأصيل، الذي يرفض التقيد.

- عَلَى كَرْشُو يَخْلِي عَرَشُو: يضرب المثل بُغية ذم الإنسان الشرس الذي كل همه الأكل لا غير، كأنه تنبيه من حدوث كارثة جراء تتبع شهواتنا، يتركب من وحدتين

يُكمّلان بعضهما في المعنى، كأن العبارة الثانية "يخلي كرشو" إجابة للعبارة الأولى "على كرشو" رغم أنها ليست سؤال إلا أنها تتخذ منهجه الذي يتطلب توضيحاً أو تفسيراً.

-يَرْحَمُ مَنْ رَأَى وَخَفَّفَ: كأنها نصيحة في قالب فني، تحمل سؤالاً ضمناً غرضه الترحم والإعجاب بذلك الذي يكون خفيف الظل في زيارته، خاصة إذا خصت مريضاً أو مُسافراً.

ب- الأسلوب الإنشائي:

قبل النظر في آلية توظيف الأسلوب الإنشائي في الأمثال الشعبية، كان لابد من البحث في مفهومه، فالإنشاء "كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب؛ لأنه ليس المدلول لفظة قبل النطق به واقع خارجي يُطابقه أو لا يُطابقه"¹⁹.

يكون الخطاب فيه صريحاً مُوجهاً سواء أكان أسلوباً إنشائياً طلبياً أم غير طلبياً، وسنتطرق لذكر ما كان غير طلبياً، وهذا ما نلاحظه فيما يأتي:

ب- أ - أسلوب النداء: جاءت بعض الأمثال الشعبية الجزائرية على هيئة نداء، مما جعل وظيفتها أكثر فنية كقولنا:

- "يَالِي رَا حُ وَوَلَّى وَشَمْنَبَنَّة خَلَى"، نداء غرضه التأكيد على نتيجة فعل التخلي عن شيء أو شخص ثم العودة، وفيه نبرة العتاب وتبيين عدم تساوي الفعل الأول مع الثاني انطلاقاً من ثنائية التضاد الموجودة في لفظتي "راح" و"ولى" أي "ذهب" و"رجع"، ليصل إلى نتيجة حتمية وهي حدوث تغير على مستوى العلاقة الأولى.

- "يَا قَلْبِي كُونْ صَبَّارْ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَجْرَالُكَ بَاتْ عَلَى الشَّوْكَ عَرِيَانْ حَتَّى يَطْلُعْ نَهَارُكَ": جاء في المثل نداء بصفة حوار نفسي، من ملامحه الدعوة للتخلي بصفة الصبر من خلال مناداة للقلب، وهو تعبير مجازي يقوم بين العقل والقلب، كان من المفروض أن يتفقا على خاصية الصبر.

يا صَحَّةَ لَأَنَّ قَلْبُ، ويا قَلْبَ لَأَنَّ صَحَّة: نداء ممزوج بصفة القلب في تركيب الجمل إذ نلاحظ أن الجملة الثانية "يا قلب لالك صحة" قلب للجملة الأولى "يا صحة لالك قلب"؛ بحيث ينتج عنهما تناقض واختلاف في المعنى، يوحي بأن القلب مسؤول عن وظيفة الجسم وإن غاب عنه أُصيب بالخمول والكسل.

يأخذنا المثل في رحلة للكشف عن سر النشاط والعمل الذي نجده في بعض الأشخاص، يكون أساسه نابع من القلب الذي يُحفز صاحبه نحو العمل والمُثابرة رغم وجود مرض أو تدهور الحالة الصحية على عكس الشخص الكسول.

ب-ب - أسلوب الأمر: أسلوب طلبي شائع وسط الأمثال، غايته تحقيق عملية التواصل بين طرفي الحوار، فيه من المعاني والإيحاءات التي تجعله يتجاوز الكلام العادي كقولنا:

-إبني على الساس تَلْحَقُ النَّاسُ: فيه أمر وتوجيه سلوك الفرد نحو الالتزام والتقيّد في العمل والتصرف مُطلقاً بقاعدة سليمة وصحيحة، التي رمز لها بلفظة "الساس" نستطيع تغييرها بلفظة "الأساس"، وتأتي عبارة "تَلْحَقُ النَّاسُ" تأكيداً لنتيجة الفعل الأول.

- اِخْذَمْ عَلَى رُوحِكَ، تَعْجَبُ النَّاسُ: وُجد في المثل أمر: نداء مفاده النصيح والإرشاد في بداية الجملة الأولى، ثُمَّ يَأْتِي بعبارة "تعجب الناس" بغرض الإغراء وتوضيح نتيجة العمل، التي تتعدى الإعجاب الشخصي إلى إعجاب غيره به.

-أَضْرِبْنِي بِرِزَامٍ، وَمَا تَقْلِبُشْ كَلَامَ: فيه نداء يؤكد الفرق بين الفعل والكلام، ومن خلال محاوراة مجموعة من الأفراد يتضح معنى هذا المثل بأن هناك من الأشخاص يُكثرون من الكلام الجارح ويحدثون ضجة في أمر ما، فيضطر الطرف المقابل أن يقول له هذا، فوقع الضرب أخف وقعاً من الكلام السيء.

ب- ت - أسلوب النهي: تتصف به الأمثال الشعبية كونها نتيجة تجارب صادقة في المجتمع، ينطلق منها الحكيم الشعبي حتى يصدر منه النهي في موضوع ما، ولنا فيه أمثلة عدة:

- لا تَقْرَحْ بِلِي جَاتْ، ولا تَتَدَمَّ عَلَى بِلِي فَاتْ: وجود نهى في طرفي المثل هدفه خلق توازن في نفسية المرء حتى لا يتأثر بما يحدث له ويسير وفق خط متوازن، فيكتسب بذلك مناعة أمام مختلف المواقف.

- لا تَكْثُرْ عَلَى الْمَلُوكِ حَتَّى يَمْلُوكَ: يسعى المثل في مضمونه إلى النصيح إلا أنه جاء بصفة النهي حتى لا يكون المرء عبئاً على غيره، ويشترك في المعنى مع قولنا: "يَرْحَمُ مَنْ زَارَ وَخَفَّ" أو "إذا كان صاحبك عسل، ما تَلَحَّشُوشُ كُلَّ".

ب- ث - أسلوب الاستفهام: تعتمد بعض الأمثال الشعبية استخدام أسلوب الاستفهام لجذب السامع بطرح التساؤلات والبحث عن حلول لما يُعانيه الإنسان في حياته اليومية ومن بين هذه الأمثال نجد: "قُلِّي شُكُونُ صَاحِبُكَ؟ انْقُلْكَ شُكُونُ أَنْتَ"، إن المتلقي قد يستطيع أن يكون طرفاً في تكملة جملة المثل؛ لأنه غير محدود ومجاله مفتوح.

كذلك حينما نقول: "لَيْكَ وَلَا لِلذَّيْبِ"، يُخِيلُ لَنَا الموقف وجهة المثل، وهذا ما يُثير لدى المتلقي روح النقاش فيه ومحاولة تأويله، ثم إنه هناك من الأمثلة الاستفهامية المستفزة مثل: "يَا لَمَرْوَقَةٍ مِنْ بَرَّةٍ، وَشُحَالُكَ مِنْ دَاخِلٍ؟"، من خلال طريقة قوله يمكن أن ينتج حواراً طويلاً لا نهاية له، ونظراً لإعادة صياغتها كل حسب تأويله لها تتعدد القراءات في نص واحد بفضل تركيبه الفني.

2.4 الكناية:

تتخلل المثل صور الكناية ذلك أنها تشترك معه في الصفات الفنية الجمالية، فهي "لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له"²⁰، فيفهم معناه عن طريق تصويبه ضمن

الباب الذي قيل فيه، هذا ما نلتسمه في مجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية، وهي كالاتي:

- ما يَحْسُ بالجمرة إلا يَلِي عَافُسُ عليها: كناية عن الإحساس بالألم والمعاناة نتيجة ظرف مُعين أو واقعة ما، وتختلف نسبة الإحساس به من شخص لآخر حسب نوعه، فلا يمكن أن نشعر بألم غيرنا أو العكس.

- لَفُوارِ الكَسْكَاسِ يَحْنَنُ لَقُلوبُ: كناية عن التودد والألفة التي ينتجها إطعام الطعام، الذي يُعد من عادات وتقاليد الشعب الجزائري، فلفظة "الكسكاس" ترمز إلى الإناء الذي يُحضر فيه طبق "الكسكسي"، الذي يكون دائما حاضرا في الاجتماعات العائلية وغيرها أو مناسبات الصلح وحل المشاكل.

- الفُهمُ المَزْمُومُ ما يَدْخُلُ دَبَانُ: كناية عن الصمت وعدم التدخل في شؤون الآخرين، تُعبر في ظاهرها عن السكوت حتى لا يتسنى لحشرو "الذباب" للمرور في الفم، أما في باطنها نصح وإرشاد مفاده أن لا نتعدى حدودنا مع غيرنا، فكثرة الحديث والخوض في أمور الآخرين يؤدي بسهولة خدش شخصية صاحبه ليصبح عُرضة للسخرية جراء فعله.

- بَدَلُ المَرَاخِ تَسْتَرَاخُ: كناية عن التغيير وتبديل الفضاء الذي ينتمي له الفرد سواء أكان البيت أو القرية، وحتى مكان العمل فلفظة "المراح" تُشير في العادة للمكان، وقد يُقصد به الزوجة في بعض الأحيان، فالغرض منه السعي نحو الراحة والسكينة.

- اخْرُجْ لِرَبِّي عَرِيَانُ يَكْسِيكَ: كناية عن التعامل بالصدق والصراحة في القول والعمل، فقد كان الهدف منه تبين مدى أهمية الصدق في التعامل والشفافية، وإن حدث غير ذلك عاد على صاحبه بما لا يُحمد عقباه ولن يعذره غيره.

5. خاتمة:

من خلالدراسة مجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية من حيث قيمها الانسانيةوالفنية، نتوصل إلى نتائج عدة نذكر أهمها:

- لا يوجد سلوك أو معاملة إلا وكان للمثل الشعبي رأي فيه، سواء كان بالمدح أو الذم، إنها تضع كل المعاملات الإنسانية تحت سلطتها وتناقش كل ما يشغل فكر البشر، هذا لنتيجة حتمية كونها وليدة تجارب سابقة، يُضرب المثل الشعبي في البداية تحت ظرف مُعين ثم ينتشر بهدف أخذ العبرة ويتطور فيما بعد ليصبح قاعدة وجب الوقوف عندها بـغية تقويم وتصحيح سلوك الفرد.

- تُساعد الأمثال الفصحى والعامية في بناء مجتمع منضبط من خلال نقد مجموعة من مظاهره ومحاولة رسم الطريق الصحيح أمام بعض المخالفات الصادرة عن أفرادها، نجده ظاهرا في كلام بعضنا، إلا أنه دائما ما يلبس عبارات وألفاظ دقيقة ووجيزة متمثلة في تلك الحكم والأمثال الشعبية.

- الأمثلة الشعبية الجزائرية من بين مظاهر الثقافة الشعبية تعرفنا عن طريق قوالها الفنية بعادات وتقاليد ومنطلق تفكير الشعب الجزائري.

- تُمثل اللغة الركن الأساسي في المثل الشعبي الجزائري؛ بحيث تنقل رسائله بأساليب جمالية لا تخلو من المظاهر الفنية والبلاغية، ذات إيقاع موسيقي يشد ذهن المتلقي.

- يعبر المثل الشعب عن حياة كاملة من التجارب والخبرات السابقة فردية وجماعية، تتبع منها ملامح استشرافية تدل على وعي وحكمة قائلها.

6.المراجع:

¹ سورة الزخرف، الآية 56.

² سورة محمد، الآية 15.

- ³ ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، المجلد 11 (مادة مثل)، الناشر : نشر أدب الجوزة، 1984، ص610.
- ⁴ أحمد رضا، متن اللغة، مج5، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص245.
- ⁵ أبو علي بن الحسن بن رشيق القيرواني، تح: عبد الحميد هنداوي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص247.
- ⁶ نعمان بن عبد السميع متولي، الأمثال العربية بين الفصحى والعامية، دار العلم للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، 2015، ص19.
- ⁷ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية -دراسة تحليلية- دار الفكر للنشر، سوريا، ط1، 1988، ص12.
- ⁸ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة مصر، المطبع والنشر، القاهرة، ص144 .
- ⁹ محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص33.
- ¹⁰ فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشرق، بيروت، ط1، 1992، ص12.
- ¹¹ رابح خدوسي، ص4.
- ¹² لخضر حليتي، المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، مخطوط ماجستير، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب واللغات، 2016، ص42.
- ¹³ بوزيد رحمون، جامعة محمد بوضياف المسيلة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، 2015، ص79.
- ¹⁴ سورة الطلاق، الآية3.
- ¹⁵ سورة الأحزاب، الآية 2_3.
- ¹⁶ سورة الإسراء، الآية 23.
- ¹⁷ نبيلة إبراهيم، أشكال تعبير الأدب الشعبي، ص140.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص89.
- ¹⁹ أحمد مطلوب، أساليب بلاغية -الفصاحة، البلاغة، المعاني-، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص107.
- ²⁰ محمد علي زكي صباغ، البلاغة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998، ص251.